

ما عاد انتمائي لهذي الأرض

أحمد جاد

شعر

ما عاد انتمائي لهذي الأرض

أحمد جاد

كيان كورب للنشر والتوزيع والطباعة
دار ليلى

الكتاب:

ما عاد انتمائي لهذي الأرض

المؤلف:

أحمد جاد

★★★

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

كيان كورب
للنشر والتوزيع
دار ليلى

أحمد جاد

ما عاد انتمائي لهذي الأرض

دار ليلى كيان كورب



مقدمة

أنا و الشِّعر ضيفان ثقيلان..

لا نجتمعْ

فأنا مبعثرٌ..

بلا بيت.. بلا قافية..

بلا قارئ و لا مستمِعْ

أنا لا أعرف المُتنبِّي..

و لست في سمار عنترة..

و لم أُجَنّ من الحب يومًا

أو أدمعْ

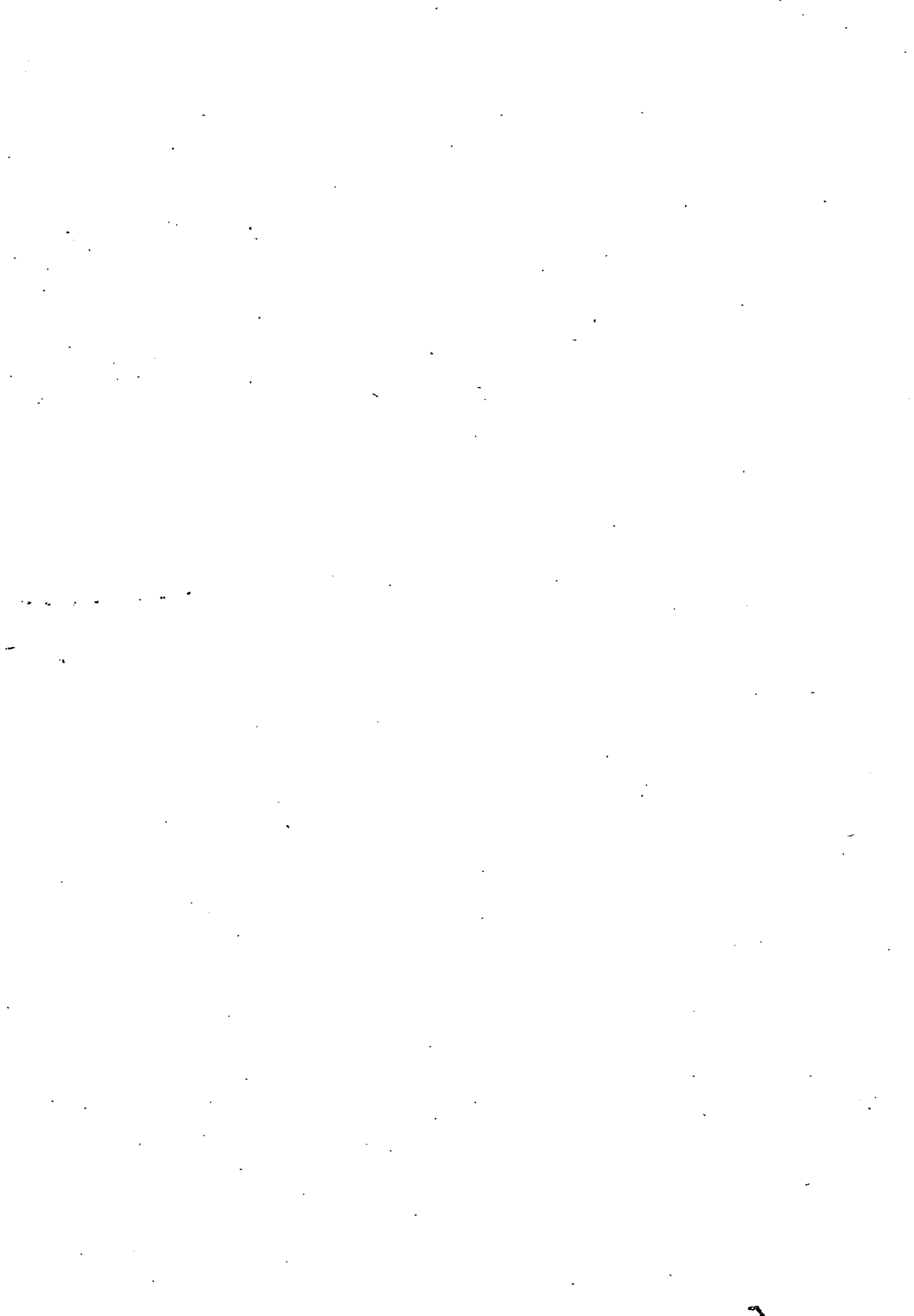
فيا قارئي..

لا ترجُوَنَّ إبهارًا

فما كتبت الشعر إلا صدفةً..

و هجرته صدفة..

و ليس الشعر بالصُّدَفِ.. يُصْنَع



إهداء

إلى من كانت حبيبتي الوحيدة، و كنت حبيبها الأوحد

إلى من كانت أول من عشقتُ أنا، و آخرهن

إلى ابتسامتي حين الفرح، و سندي حين يشتدُّ عليَّ الجرح

إلى الحياة بكل ما كانت تعنيه لي

إلى من كانت تشركني فرحها، و حين تألّمتْ، فعلتْ وحدها

و حين رحلتْ، رحلتْ في صمتِ النبلاءِ، و نبلِ الحكماء

إليكِ يا أمي – إلى روحك– هذه الكلمات

أحمد جاد



وأنتِ تنسين

أنا دمعة الشوق في عيونك ..

حين يغلبنا الحنين

أنا شمعة تدفئ لياليكِ ..

إذا غابت شموس الذاكرين

أنا حاميكِ ..

إذا نهشتكِ أنياب الطامعين

أنا أفديكِ ..

أنا صهوة الحق المبين

أنا من يقول الآه دمعًا ..

كي لا يؤرِّقكِ الأنين

أنا طفلك المقهور ..

أنا المسلوب حقي طول السنين

أنا الصابر ..

أنا القانع ..

أنا الراضي و المستكين

أنا الثائر الذي ذاق الحلم ..

و الحلم بين جدرانك .. سجين

أنا المصلوب على بابك

أنا المدفون بترابك

أنا المحذوف بكتابك

يذكرني التاريخ .... و أنت تنسين



حقيبة سفر

و حقيبة سفرْ..

فيها حكايا و ذكريات

فيها فرح و آهات

و مواعيد تنتظرْ

فيها مجلدٌ للصورْ

و قلمي .. و الدفترْ

و أشعارٌ لم تُكتَب لبشرْ

و كلماتٌ تتناثر فوق السطور ..

و ثيابٌ مبعثرةْ ..

و بقايا وردة ذابلةْ

و قُصاصة عن أحلام مؤجَّلَةْ

و خرائطُ لمدائنَ بعيدةْ ..

و شموعٌ .. للسهرْ

و خيمة مطوية مزقتها السنون ..

و داواها القدرْ

الآن .. حقيبتي كاملةْ

و الحاجب ينادى رحلتي العاجلةْ

أقفُ على باب القطار ..

أقدّمُ رجِلاً .. و أؤخِّر الأخرى ..

يمضى القطار و أنا بمكاني ... أنتظرْ

عذرًا...

فإني لا أجيدُ السفرْ ! !



أغنيةٌ للشتاء

أنا على عكس كل الناس..

عندما يأتي الشتاء

لا تطربني فيروز..

و لا أحب القهوة..

و لا أشتهي حضنًا يؤنسني في المساء

و لا أفرحُ..

إذا ما عكّرت الغيوم صفو السماء

أنا لا أسير في الطرقات ليلاً..

أناجي القمرْ

و لا أُبلِّلُ خدي بدموعي..

حتى يغسلها المطر

و لا يشدني ذلك العصفور..

يدندن كل صباح فوق الشجر

و لا أسهر طول الليل..

أَجترُّ ذكرياتي..

أُقلِّبُ الصور

كل تلك المشاعر هاجرتني من زمنٍ..

فكيف لا أضيعْ

و كيف أكتبُ قصيدةَ غزلٍ عن الشتاء..

و عن حب تشرين الوديعْ

كيف أتأثر أصلاً بذلك البرد..

و كلّ ما بداخلي.. صقيعْ

ذلك المطر لا يقدر على دموعِي..

فكيف أُزيِّفُ ضحكي أمام الجميعْ

أنا صيفي.. كَشِتائِي.. كخريفي..

و اختفى من دنيايَ الربيعْ

أنا إذا ما أقبل الشتاء..

أعلنت اكتئابي...

ككُلّ أيامي الباقية

أضحك وحدي..

أبكي وحدي..

و أحبس ذكرياتي في دفاتري البالية

و إذا ما أمسيت..

أجلس جوار نافذتي..

أُراقبُ الشوارع الخاوية

فالحب لم يزرني في الشتاء قط..

و كل أحلامي فيه مؤجَّلة

أنا جبانٌ.. أخاف الشتاء..

يورثني بردًا و برودًا..

جبال ثلج كاملة

أهابُ قتامته.. و لونه الرمادي..

و حتى شكل الغيوم المسدلة

أنا صيفي كشتائي كخريفي..

الكل سواءْ

أنا –على عكس كل الناس–

أحزن.. عندما يأتي الشتاءْ

يوم عُرسكِ.. يوم جرحي

في عينيها يطول السكاتْ

و يمضي دهرٌ من ذكريات

يقول بأنَّ الحنينَ انتهى..

و ما كان بيننا كُلُّهُ.. قد ماتْ

و ما عاد يُجدي بعض التمنّي..

فقد ضاع منَّا العمرُ في أمنياتْ

أراكِ الآن سرابًا بخيلاً..

يسكن في الروح بعض فُتاتْ

أراكِ أشلاءَ عُمْرٍ مَضَى..

و كلّ العمر على بابكِ.. فاتْ

أراكِ على أعتاب القصيدة حرفًا عليلاً..

ترفضه كل الأبياتْ

مستقيلٌ أنا من عينيكِ..

من الشّوق كلّه..

بعدما أضْنَانِي من القلب المَوَاتْ

أنا الذي طُفْتُ البلاد..

أحكي –كالدرويش– عن الحب الحكاياتْ

أنا الذي بعثرتُ أشواقي في الكتب..

على الجَدران، و الطرقاتْ

أنا الذي استباحَ الهجرَ كيْ يهنأ..

فصار بالهجرِ بعض رفاتْ

خبِّئِي عينيكِ عنّي..

فلا أقوى بريقَهما..

يعذِّبُني صداه بلا كلماتْ

إذ تحملان مِنِّي ذلك الأسى..

و بعض اللوم.. و تحشد العَبَراتْ

و نظراتٌ من صديقاتك تُدوِّي..

في صمت الكلام.. و صخب الهمساتْ

في يوم عرسك، إذ ترقصين بين ذراعيه..

يسكَن عينيك بتلك النظراتْ

يمسك يدَيكِ بنفس الطريقة..

تتمايلين معه بنفس الحركاتْ

حتى نفس الأغنية التي كنا نغنيها معًا..

أضاقت عليكِ الأغنياتْ؟؟

يواسيني الحضور..

و أنا أردُّ تحيتهم بزيف الابتساماتْ

أنزوي في ذلك الركن وحدي..

أكتم الدمع في صدري.. و الآهاتْ

يوم عُرسكِ.. يوم جُرحي..

يوم صار الحب ذكرى في لحظاتْ

كانت تتعانقُ في الهوى أرواحُنا..

و نرسم فيه أقاصيص عمرنا الآتْ

كنا نكتب قصة حبنا على جذوع النخل..

و نذيّل بها الصفحاتْ

كنتِ عمرًا لعُمْري..

كنتِ فرضًا..

لا تستوي إلاّ به الصلواتْ

فلمَ آمَنّا أنَّ ذلك الحب..

مكتوبٌ عليه أن ينقضي ككل النهاياتْ؟

لمَ استسلمنا للفراق..

إذ يدق أبواب أمنياتنا الثائراتْ ؟!

بعد كل الحب الطويل لم نقاوم..

وَ تكسّرتْ كل الوعود العابثاتْ

لا تلوميني، فلست ظالمًا..

بل مظلومًا كما أنتِ..

و لا تلومي ليالينا القادماتْ

و أنتِ في حضنِ غيري..

يداعبكِ.. يمازحكِ.. يغنّي لك..

يشاطركِ الحياةْ

اليوم عُرسكِ..

اليوم جُرحي..

اليوم موتي.. و اليوم موتك..

و الناس على المرقص يذورون في خطوات



يا قاهرة

لا شيء يؤنِسُني..

سوى وقع أقدامي في ذلك الشارع المظلمْ

ألوان الحداد في كل ركنٍ..

و السكون على الوجود.. يَجثُمْ

في تلك الشرفة مذياعٌ يغنّي:

"إزاي قولي لي مكملة .. "

و في الزقاق يُتْلَى قرآنُ المأتمْ

في كل شارعٍ من مدينتنا نُواح أمْ

يا قاهرةَ المعزّ..

يا وجعًا بعاطفتي..

يا جُرحِيَ الأعظمْ

رثيت قبلك بغداد و دمشق..

لكنَّ رثاءَك يا حبيبتي.. يؤلمْ

جُرحي ألمْ..

حُلمي ألمْ..

أجراس الكنائس تدقُّ في صخب..

و المآذن.. تنعى ليلاً لم ينمْ

ليلي ألمْ

و وطنٌ تنحني هاماته.. لم يقمْ

وطني ألمْ

حتَّى مُنَادِي الفجر في مدينتنا... أبكمْ

* * *

يا قاهرة المعز...

قد جار عليك عدلُ عمر..

و غُلّت أيدي المعتصمْ

يا قاهرة..

يا لحنًا بلا نَغَمْ

يا آهًا تُدمي القلب..

و تَكسر شموخ الهرمْ

ما عاد ينفعك البكاء –صغيرتي– و لا الندمْ

يا قاهرة...

يا ......

(يسقط من دفتري القلمْ)

أعانق أرضك..

يُخالط ترابَك بعضُ دمْ

تخبو الملامح..

وجوه الناس حولي تزدحمْ

يضيع النور.. و الكون في عينيّ مظلمْ

رشّات ماء.. هرولاتٌ.. صراخٌ .. و عدمْ

أنا مُفارق يا صغيرتي..

روحي تئنُّ.. و جرحي على ترابك يبتسمْ

عِناقِي الأخير..

قُبلتِي الأخيرة...

" إزاى قولي ليّ مكملة ... "

و يُتلَى قرآن المأتمْ

خلّيني .. طفلاً

أريحيني على صدرك ..

و خلّي شعركِ يغطّي كلّ أركانِي

و خلّي دمعكِ يقطر على وجهي ..

أستقي منه بعضًا من حنانِ

و خلّي أذنكِ تُرهف السمع لدقات قلبي ..

كي تسمع كل ألحانِي

و خلّي شفتيكِ ترتجفان عشقًا ..

و لسانكِ يقرأ كلماتي ..

أو يُغنّي كل الأغانِي

و خلّي أصابعكِ تتخلل شعري ..

تلهب في صدري نيرانِي

و خلّي صدركِ يخفق مضطربًا.

لا أمكث عليه بمكانِي

و خلّي أنفاسكِ نسيمًا يُدغدغني ..

يتوغّل في وجدانِي

و خلّي رجليكِ أرجوحتين ..

تميلان بي ..

بالشوق تُشعِرَانِي

خلّيني ..

بين ذراعيكِ طفلاً

أنسى في عينيكِ نسيانِي



قصيدتي المُثلَى

أميالٌ لم أقطعها ..

و وعودٌ لم أفِ بها ..

و أحلامٌ لا تذبُلْ

و عيونٌ لم أغازلها ..

و كلماتٌ لم أقلها ..

و كأسُ أشعارٍ لا يُثملْ

لكنِّي –رغم هذا– راحلٌ ..

بلا متاعٍ ...

سوى قنينة من صبرْ

و حقيبةٍ من أُمنياتٍ ..

ذابت مع العمرْ

و ذكرياتٍ تؤرّقني ..

و ندوبٍ في الصدرْ

إني مرتحلٌ ..

قد بعتُ الماضي و الآتِ ..

بعتُ أحلامَ الأمسْ

بعتُ العشقَ .. و بعت الليلْ ..

و صادقتُ اليأسْ

أنا لستُ جبانًا ..

لكنّى مجروحُ ..

ما أقسى جرحَ النفسْ

سأرحل ...

بحثًا عن قصيدتي المُثْلَى

سأفتّش بين الحروف عن كلمة عَذْرَا

عن كلماتٍ لم تستهلكها الأفواهُ ..

و لم تنتهكها الأقلام

سأفتشُ بين ثنايا الجرح ...

عن حبٍ جديدٍ ..

يعيدُ إليّ الأحلام

****

لم أزلْ أتنقّلُ بين الموانى ..

أبحثُ عن مدينة لم تغزُها القتامة

حتى تكسرتْ على الشطآن سفينتي ..

و تناثرتْ على الرمال قصائدي ..

و بعض من كرامة

إني بنيتُ على الجليد مدينتي ..

فذاب الجليد ..

و انقضت مدينتي .. لم تترك علامة

حتى الشطآن تلفظني ..

تطردني ..

ترفض هذا القلب .. و أحلامَه

****

قلمي .. و الوحدة .. و الغربة أصحاب الدربْ

و الحبُ العذري يؤرِّقني ..

و أنينُ القلب

أذنبتُ أنَّا ..

لكنّي – صدقًا– لا أدرى ما الذنبْ

****

سأهاجرُ مدينتي الثّكلَى ..

سأهجرُ فيها البوادي و القفارْ

أفرد أشرعتي ..

يلقيني الموج من دارٍ .. إلى دارْ

مازال في صدري شيء نابض ..

و أملٌ ... يعانده الفرارْ

ما زلتُ أتنقّلُ ...

أبحثُ عن مدينة فُضْلَى

و قصيدةٍ مُثْلَى

ما زلتُ أبحثُ عن نهارْ



حبٌّ مستحيل الحصول

لا تحبِّيني على أنغام موسيقى كلاسيكية

أو على ضوء شموع ..

تحرقها نار الشوق القوية

أو بباقة ورد ..

أو بهمسة حب .. أو بقبلة ...

فتلك –يا سيدتي– كلها أمورٌ تقليدية

بل أحبَّيني بربيع تشرين ..

بالثلوج التي تسّاقط صيفاً ..

على المناطق الاستوائية

أحبيني بعنف القصائد الغزلية

أحبيني بواقعية الأساطير ..

و تعقُّل الجنون

أحبيني ذلك الحب ..

و لا تسأليني كيف يكون

و لا كيف تحميه أخطاؤنا ..

أو كيف تقرّبنا الظنون

يا سيدتي ...

أحبيني حبًا مستحيل الحصول

هل سمعتِ يومًا ... عن اللا منطق .. و اللا معقول ؟!



أستسلمْ

و بحقِّ الفائِتِ عبثًا من عمري..

و ذاك السَّواد المتعمِّق في صدري..

أستسلمْ

و لو أرّقَتْنِي أحلامي بعدُ..

فلن أحلمْ

اليوم أُنكّس أشرعتي..

و أَكسر مِحبرتي..

و يَخرسُ صوتي.. لا يتكلمْ

أستسلمْ

عن حلمٍ لغدٍ واعِدٍ.. قد أظلمْ

عن حبٍّ يمحو آهاتي..

بات يؤلمْ

عن قصيدة تكتبني..

و لحن يستهويني..

عن صورةٍ.. لن تُرْسَمْ

عن رحلةٍ طويلةٍ أتمنّاها..

من تقلِّب الأيام.. لم تَسْلَمْ

أنا... أستسلمْ

سأعيش وحيدًا

و دموعي.. و آمالي.. و عُقَدِي..

بداخلي تُكْتَمْ

و أموت وحيدًا..

لو رَأَفَ الزَّمان بي..

لا أرجو نواحًا أو مأتمْ

فالوحدةُ راحةْ ...لو تعلمْ

نم يا صغيري... نمْ

فكلانا اليوم... يستسلمْ



عُــذراً...

عذرًا سيّدتي...

ما عدتِ أنتِ مصدر إلهامِي.

عذرًا...

فقد صار الصمت يَتَجَلّى في كلامي.

أنا – يا ابنة الأمس – ...

شيخٌ في الهوى..

لكنّي معكِ...

كنتُ أعشق كَـغُلامِ.

لا تسأليني صبرًا...

فقد ضاق الصبر بي..

و لا تسأليني العشق...

فكلانا يعلم أنّه محض أوهامِ.

و لا تسأليني الإخلاص...

فأنتِ غيرُ جديرةٍ بغرامِي.

لا تبدئي الآن في البكاء..

أو تُذكّرِيني بوعودي و كلامِي.

أنا لم أُخلِف معكِ كَلِمِي...

لكنّ قلبكِ مُغرَقٌ في ظلامِ.

سأكذّب قلبي..

- ولو كان صادقًا -

و أُمزّق بيديّ ما بقيَ من أحلامِي.

أنا...

إنْ طلبتُ الرجوع إليكِ يومًا...

فقولي إنني مجنون..

و أغلقي أبوابك أمامِي.

أنا...

إنْ حدّثتكِ عن الحبّ يومًا...

فاتركيني..

- كما كنتِ دومًا تفعلين -

و احكمي عليّ ما شئتِ من الأحكامِ.

أنا...

إنْ نظرتُ لكِ مرّةً...

فاختبئي منّي..

و ذوبي في الزحامِ.

فأنتِ امرأةٌ...

لم تُخلَق للعشقِ يومًا..

و معكِ...

على العشق السلامِ.

منكِ .. إليكِ ..

كلّمَا حاولتُ أن أهربَ منكِ ..

ألقاني بين ذراعيكِ

أسمعُ همسكِ في شدوِ البلابل ..

و في استدارة القمر .. أرى عينيكِ

صوت ضحكاتك يدوّي من أبواق السيارات .

و في الزهر يبدو .. خجل وجنتيكِ

و في زحام الشوارع كل الوجوه تشبهكِ ..

حتى لافتات الطريق .. تشيرُ إليكِ

يا سيدتي–

أنّى لي أن أهربَ منك ..

و كل أحلامي .. تغفو على راحتيكِ

قَـالَـتْ ...

قالت بأنّني لستُ أنا..

فتى أحلامِها المُنتَظَرْ.

قالتْ...

و طلبت منّي..

أن أنسى كل الحكايا..

كل الوعود..

أن أحرق كلَّ الصورْ.

قالتْ ، و قالت كلامًا كثيرًا..

عن القِسْمَة و القدرْ.

قالت بصرامة في عينيها..

لا يُخطؤها البصرْ.

و انتظرتْ كيف يكون ردّي..

و علامَ المُسْتقَرْ.

قالتِ : و ذهبتْ..

تركتني مع نارٍ في صدري تستَعِرْ.

مهلاً...

أبعدَ هذا الحبِّ الطويل..

تطلبين وداعًا بلا مفرّْ؟!

أشْهَدْتُ عليكِ المساء..

و النجوم .. و القمرْ.

بأني كنتُ مِلكاً لكِ..

كلّي لكِ..

بأنكِ لي كل البشرْ.

يا سيدتي...

إن كنتِ تلهين بي..

فذلك لهو قذرْ.

أمَّا إن أحببتني..

فكيف الوداع...

بعدما الحب اشتدَّ و كبُرْ.

تودعينني بلا سلامٍ و لا كلامٍ..

بلا سببْ..

بلا قولٍ أو خبرْ.

تودعينني بقلبٍ..

أصمَّ من الصخرِ..

و أقسى من الحجرْ

أوأدتِ بيديكِ حبًّا...

أم مات فيكِ الإحساس...

و انتحرْ.؟

أعلنُ إلحَادِي

ما الحب -يا صغيرتي- سوى لعبةً..

بها نتسلّى

إذا ما حظينا بوقت فراغ..

و القلب هام، و تجلّى

الحب ليس جميلاً، كما تحكيه أساطير العشّاق..

في زمن وَلّى

إنما الحبُ سجنٌ.. قهرٌ..

قيدٌ على كواحِلنا يتدلّى

فلا تأسَيْ يا صغيرتي إذا ما اعترفتُ..

بأن الحبّ يومًا لم يزرنِي

و لا تصدّقي بأني سهرتُ الليالي أفكّرُ فيكِ..

و إذا ما غِبتِ.. تدمع عينِي

و لا زيفَ قَوْلِي قبلاً..

و لا تصدّقِي – حتّى- دفء حضنِي

أنا جامدٌ -كحجر-

فلا تتعجّبي – لحظة الفراق– عدم حزني

و لا تعجبي إذا ما تركتكِ هاهنا..

و كأنَّ شيئًا لم يكنْ

فأنا اعتدت الجراح قبلكِ..

حتى صار قلبي للآه.. وطنْ

ليس العيبُ فيكِ يا صغيرتي..

أن أحببتيني بكل براءَةْ

أن منحتيني أكثر مما أستحق..

و لم تطلبي شيئًا.. لقاءَهْ

ليس عيبُكِ أنني ما كتبتُ فيكِ الشعر قط..

و لم تعرفي فرحي و أعيادِي

لكنَّ عيبَك... أنا..

بأوجاعي.. بتقلُّبي.. بجنوني و عنادِي

لا أطمعُ في غفرانك..

بل أنتظر انتقامكِ..

فأنا الظالم.. أنا البادِي

غيرُ نادمٍ – سيّدتِي – ..

فأنا أبحث عن عودة لميلادِي

اليومَ – بكل تبجُّحٍ – أعلن..

من كل مذاهب العشق...إلحادِي

أنا... المُطْلَقْ

قالتْ.. دع الشوق فينا حُرًّا ينطلقْ

و اروِ ذاك القلب العجوز.. بخمر ورد مُعَتَّقْ

و أشعل فيه جذوة الحب...

و دعه في ليالي الصيف يحترقْ

أما اشتَقْتَنِي.. أما اشتقت لوعة الوجْدِ تُمزّقْ؟!

أما اشتهيت حضن اللقا..

و دمعةً على خديك تترقرقْ

قلبك المسكين – و أنت أدرى –...

إذا ابتعد عن الحب مات...

و إذا عشق، يُرهَقْ

اسكب فنجان قهوتك..

و ارقب صورة في القاع و دقِّقْ

أنا من وعدتك به العرّافات..

أنا النبوءة القديمة تتحققْ

أَخْرِج القلب المسجون من أسواره..

و آمِنْ بحياة وردية و صَدِّقْ

و انْسَ كل ما عانيت قبلي..

و انسَ كل من واعدت غيري..

و دع عنك القلقْ

فأنا البداية..

و أنا النهاية..

أنا الحكاية كلها..

و في عينيك.. المُطلَقْ



أَتَيْتُكَ رَاجِياً

إن عجز اللسان عن الكَلام..

فأنتَ بكلِّ ما في القلب أدرَى

و كيف لا يعجز، و أنت القدير..

و آلاؤك أمامَ الناظرين تَـتْـرَا

كل الجوانح تسجد إليك شكرًا

و لو فعلتْ، ما وَفَّتْكَ شكرَا

عجزي انكسارٌ أمامَ جبروتك..

فهل في الأكوان أعظم منك ذِكْرَا؟!

يا ربِّ...

أنا العبد الضعيف أتيتك راجيًا

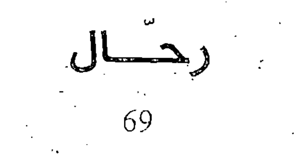
فهَبْ لي من لدنك بُشرَى

و ارزقني بعد الضيق فرجًا..

و من بعد مداد عسرٍ.. يُسرَا

فأنت الكريمُ، و لا يخيبُ قاصدك..

و أنا المقصِّر.. فيا مولايَ عُذرَا


رحّال

أوراقٌ أمزّقها ..

و أحبارٌ أسكبها ..

و أشعارٌ .. تكتبها عَبَراتي

أنا رحّال ..

جُبْتُ الأرض عَدوًا و غَدوًا..

حتّى أتعبتني رحلاتي

فصارت مراكبي ورقًا

و أشرعتي .. آهاتي

أَحطُّ في كل بلدٍ ..

أرقب فجرًا .. لا يَـأتـِي

إني ارتضيت الدُّونَ عيشًا

فكيفَ بالدُّونِ يفيق شعري بعد مَـوَاتِ

قد كنت في زمن ..

مَلِكًا تداعبه الكلماتُ ..

فأين ضاعت تيجاني .. و أوسمتي .. و أبياتي

بل صار الشِّعرُ هَمِّي ..

و الكلمة وجعي و مأساتي

أنا .. في دنيا الشعر ... رضيع ..

اغترّ بأبياته المتناثراتِ

لستُ أبا فراسٍ .. أو نزارًا ..

أو درويشَ ..

أأماثلهم .. بتلك الحكاياتِ

أنا ما كتبتُ الشعر أصلاً

و ما هذه .. حتى .. كتاباتي

كيف تكون لي .. و هي حلمٌ ..

حتى الحلم يعاند آهِي .. و ضحكاتي

ما الشِّعر كلماتٌ تتراص ..

و قافية ..

و بعض الذكرياتِ

الشعر إحساسٌ .. و شغف ..

فرحي .. و انكساراتي

هو حبٌ ..

لقاءٌ .. و فراق ..

هو حالة تجوب السماواتِ

هو حينما يكون للإحساس كَلِمٌ ..

و للكلمة ألحان ..

و للّحن .. أعنفُ النشواتِ

إني عشتُ بين الكلمات دهرًا

حتى صارت حياتي ..

بعضَ كلماتِ

قصَةُ أُخْرَى

فلتشعري بالأسى ..

و لتحزني .. و لتشجبي

بأيِّ شيءٍ قد أفاد الشَّجَبْ

ابكِي و نُوحِي ..

فأبدًا لا يرجع ما ذهبْ

مجنونةٌ إن صدَّقتِ أنِّــي...

آتٍ عتباتِكِ أَنتحبْ

مجنونةٌ إن قالوا لك ..

أنِّــي كتبتُ فيكِ الأشعارَ و الألحانَ و الخُطَبْ

مجنونةٌ إن أخبروك بأنِّــي عاشقٌ..

فالعشقُ ولّى و قلبي قد احتجبْ

إني بحثتُ فيكِ يوماً عن نشوتي ..

فما وجدتُ إلَّا الآهَ و التعبْ

حلمي مقبورٌ .. و قلمي مكسورٌ..

و قلبي مقهورٌ .. و زمني مغتربْ

مهما تَنبُّري باقاتِ الورد على بابك ..

لستُ آتيكِ .. و شوقي ليس يلتهبْ

قد كنتُ الراهبَ المسجون في عباءته ..

ينتظر البشارة .. تقتربْ

تبًّا لعشقك .. أقولها ..

تصبّها لعناتٌ من غضبْ

فـتَـبَـتُّلِـي بين يديكِ كان طغيانًا ..

و قتامةً .. و براءةً تُغتصَبْ

اليوم .. أُمزِّق أوراقي ..

و أحرقُ قلمي و ما كتبْ

و أهدمُ صومعتي ..

و أَلُفُّ عباءتي ..

و أداوي وجعي المضطربْ

و أسألُ الله هدايةً للقلب..

و عفوًا عمّا ارتْكِبْ

* * *

قالتْ: يا سيدى تَرفَّق..

فكلانا في الذنب سواءْ

كلانا نليق ببعضٍ ..

كلانا كذّابٌ .. محتالٌ .. مُرَاء

فأنا لست تلك الغانيّة التي تصفُها ..

و رهبانيتك ... هُراء

و عباءةُ طُهرك مُرَقّعة ..

و تَبَتُّلك بين يديَّ .. افتراء

و دموع تُـقَاكَ إفْكٌ ..

و قلبك لم يعرف يومًا الولاء

ما دمت تعرف أنّـي معصية ..

فلماذا سهرك على بابي ..

و لماذا توسُّلاتك و أغنيات المساء

و لأيِّ شيءٍ كانت هداياك ..

و في منْ كانت أبياتك ..

و على أي .. كان البكاء

أتظن أنني عطْشَى لحبك ..

و السُّهد يقتلني ..

أُمَنّي نفسى باللقاء

لا و الله .. فقائمتي طويلة ..

و على عتباتي يصطف الأحباء

فهذا خلٌّ .. و هذا عاشق ..

و هذا يُهَادِي .. فيجزل العطاء

و هذا يتمنى نظرة حانية ..

و ذاك يتمزّق إن أحزن أو أستاء

فـتَبًا لعشقكَ أنت ..

فلا غرورك يمنعني ..

و لا أهاب منك الكبرياء

إن كنتَ شاعرًا ..

فأنا قصيدةٌ عصماء

و إن كنتَ رحّالاً ..

فلا وطنَ لك ..

و مواطني ... قمرٌ و نجومٌ و سماء

دع عنك سخافاتك ..

فما عادت تبهرني فيك هذى الأشياء

قد كنتُ حلمًا يطوف بأيامك ..

و أنت مزّقت الحلم لأشلاء

فارحلْ .. و ابتعدْ

ما أكثر قصصَ الهجر ..

و لن تكون منها .... استثناء

حديث الفُستان الأسْوَد

إذا وقفتِ أمام مرآتِكِ..

تُحـــادِثِيـــنها في دلال

فلا تُصدِّقِي إن أَخبَرَتكِ..

بأنّكِ لستِ إلَهـةَ جمال

و أنكِ لستِ الأرقَ..

و لستِ الأرقى.. و لستِ الأنقى..

و لستِ الأقربَ إلى الكمال

من ذا عاقلٌ يصدّق حديث المرايا..

قد تَغارُ و قد تحتالُ

******

و إذا ما سَاءَلتِ عطركِ الفوّاحَ..

من يمنحُ الآخر ذلك العَبَقْ

إن قال بأنك من تكسبينه ذاك الرحيقَ..

فقد صدقْ

من ذا عاقلٌ يُكذّب حديث العطور..

و لو على ورقْ

*****

و إذا ما راقصتِ في شغف فستانك الأسودْ

أمام مرآةٍ.. تغار منكما و تحـقدْ

فاسأليه: من يمنحُ الآخر ذلك الخَصرَ المحـددْ

سيقول بأنّه اعتزلْ كل النساءِ..

و صار ناسكًا يتهَجَّدْ

في قوامك أنت..

بلمسة منك يسعدْ

سيقول بأنه الآن يفهمْ...

كيف كانت بلقيس تُعبَدْ

صدّقيه ..

من ذا مجنونٌ لا يصدقُ حديثَ فستانٍ أسودْ

*****

و إذا تزينتِ بأقراطك فاسأليها..

من يمنحُ الآخر ذلك البريقْ

ستقول في خجلْ..

إنها كرمادٍ تخلّفَ من حريق

فالنَّاظِر ينساها تمامًا..

إذا ما صادفتك عيناه في الطريق

و هل يُقَارنُ بعضُ زجاجٍ.. بأحجار العقيق

من ذا مجنونٌ لا يصدق حديث قُرطٍ عتيق

*****

و إذا ما كتبتُ فيكِ بعض شعرٍ..

فلا تسألي أبياتي

فعجزي في محرابكِ..

قد أورثني بعض سُكاتِ

عشقي إليك سيدتي.. حياةٌ..

فكيف بربك تسأليني عن حياتِي

أنا و إن غازلتُ جميلاتِ الدنيا..

فأنت فوق الوصف.. فوق كلّ الجميلاتِ

أنت فوق كلِّ تخيُّلٍ.. أنت أكبرُ من كل ذاتي

من ذا واهمٌ يصدّق شاعرًا..

يكتبُ عنكِ.. فيُرهَق من الكلماتِ

عَشْرُ لَيَالٍ

سآتي إليك زائرًا..

في ليلةٍ شتوية

سأقف على بابك..

أطرقه.. و أنادي..

و أقرأُ عليكِ قصائدَ غزلية

فإن أتيتكُ..

أرجوكِ...

لا تفتحي لي البابَ، و لا تردي التحية

و ذريني أقف خارجًا..

في البرد.. في الظلمة.. تحت الأمطار

ذريني عشرَ ليالٍ..

دعيني أتيقّن مقدار حبك في قلبي..

و ماذا يكون الاختيار

و لا تتأثري ببكائي وحيدًا..

و لا تتأثري بندائي..

أخبريني.. بعد انقضاء الليالي العشر

كم افتقدتني..

كم صعب عليكِ صوتي..

كمْ كان قلبك ينفطر

أخبريني..

كم كنتِ تصيخين السمع لصوتي ساعات..

حتى يطلع عليكِ الفجر

كم وددتِ أن تكسري شرفتك..

و تقفزي منها.. لتكوني معي

أخبريني..

كم شعرتِ أنك تحبينني..

كم وددتِ لو مسحتِ بكفيكِ.. أدمعي

أخبريني أنني أنا فارسك..

منذ أزمنةٍ مضتْ..

و حتى أزمنةٍ قادمةْ..

و رددي الكلمةَ على مسمعي

أنك تحبينني..

و ستظلين أبدَ الدهر..

كما يسكن حبكِ جنبات أضلعي

ستقولين كل هذا.. و أكثر..

ستخبرينني كلَّ شيءٍ شعرتينه..

ستخبرينني بكل ما تمنيتينه..

لكن..

بعد انقضاء المهلة..

عشر ليالٍ تفصلني عن عينيكِ..

عشر ليالٍ.. سأمضيها..

لأنكِ أنتِ..

إذا أردتِ أن تساعديني..

صلّ..

كي يكون الليلُ أكثرَ ظلمةْ..

كي يكونَ المطرُ أكثرَ غزارةْ..

صلّ..

كي يكونَ البردُ أكثرَ بردًا

وأن يضربَ البرقُ و الرعدُ..

كلَّ الحي..

صلّ..

و اقطعي عليهم عهدًا

ألاّ يرأفوا بي..

أو يرحموني أبدًا

فكلما اشتدّ بي الوقوفُ أمام بابكِ..

عرفتُ أن حبّكِ في قلبي..

راسخٌ كالجبال

يا سيدتي ...

ستعرفين حبًا..

لم تتكلم عنه قصصُ الحب..

أغرب من الخيال

يا سيدتي..

انتظريني..

تفصلني عنكِ عشرُ ليالٍ



ميعادُ العودة

الغربةُ كأسٌ محموم..

نشربُ منه حتى نثملْ

و الوطن حضنٌ يدمينا..

فنكرهه، لنشتهيه بلا تعقُّلْ

الموتُ فيه صار ضيفاً على موائدنا..

لا يرحلْ

جنون الأمس.. يكتمل اليوم..

يمتد إلى المستقبلْ

ربيع العالم في كفة..

و ربيع أوطاني.. يذبَلْ

ثمن الغربة كِسرةُ خبزٍ..

و بعضٌ من كرامتي.. يُقتَلْ

تاريخ البعد موثَّق في تأشيرة سفري..

و ميعاد العودة.. يُجهَلْ

ما زلت طفلاً

و مزيدٌ من النقاط البيض..

تغزو سواد شَعري

و مزيدٌ من سنين العمر..

تنسلخ من عُمري

أنا ما زلت طفلاً..

فرفقًا بطفولتي يا قدَري

في كل فجر أعانق مرآتي...

فتنهرني..

في كل فجر...

يُضاف نعيٌ إلى قبري

أنا – يا عُمر– ما زلتُ طفلاً..

لم يزرْ كلَّ المدائن

لم أعشق كل النساء..

لم أذق طعم النبيذ..

و لم أكبّرْ على كل المآذن

لم أكتبْ بعدُ قصيدتي العُظمى..

و الشعر –يا عُمْر– بين أضلعي ساكن

أنا حالمٌ بلا أحلامْ..

أنا عاشقٌ بلا عشق..

أنا ثائرٌ.. بلا ميدان

أنا الشاعرُ ..

بلا بيت..

بلا أغنية..

بلا ألحان

أنا –يا عُمر– ما زلت طفلاً..

يداعبُ أحلامَه في براءة

فتصفعه الأيام ..

تكتب عليه شقاءَه

أنا الذى –في عنفوانه– ..

لم يكتبْ قصيدةَ حبٍ..

بل كتب بنفسه.. رثاءَه

ما زال شراعي مفرودًا..

فدعني –يا عُمرُ بربّك-- أُبحر كيف أشاء

دعني —بحماقة الصبية—

أكتشف بنفسي الأشياء

دعني أبني قلعة رمل..

ثمَ أهدمها..

أنا أصلاً لا أُجيد البناء

دعني أنادي في الليل وحيدًا..

ثم يردّ الليل عليَّ النداء

يا قَدر...

أنا ما زلت طفلاً..

لم يَعِشْ ... حتى يموت

لا تُخرسِ صوتي..

فأنا بطبعي .. صَمُوت

تلك الشعيرات البيض...

تمنحني وقارًا لا أشتهيه

هل يشتهي الطفلُ..

قيدًا يكبِّل حلمه.. و ينهيه؟!

ما عاد انتمائي لهذي الأرض

على أبواب السّفارات..

ينتظر الآلاف في صبرٍ و عنادِ

في يمينَ كل منهم رزمة أوراق..

و في العيون، حلم الغربة ينادِي

كل الوجوه تشابهت..

في القهر.. في نظرة اليأس البادِي

يمضي الوقت في حكايا بينهم..

عن هيبة الأهل، و الأمجادِ

عن أبٍ، لن يكون له سند..

و أمٍّ باعت كلَّ ما تملك..

مقابل تذكرةٍ لبعادِ

عن صورةٍ لحبيبة..

قد ترتديَ يوم عُرسها ثوب حدادِ

و طفلة تضحك في براءة..

و الفجر يسكن ثغرها الشادي

يمضي الوقت بطيئًا..

و على المحيّا أملٌ ضائعٌ.. و شجنْ

كانوا يرسمون بين أهليهم حياةً ورديةْ..

مزّقتها المحَنْ

فالريح لا تأتي أبداً بما تشتهيه السفنْ

و السفن صارت حلمًا..

إن كانت تُبحِر بعيدًا عن الوطنْ

هؤلاء من باعوا أعمارهم عبثًا..

و النخّاسُ وحده من قبض الثمنْ

هم قبلوا بأيٍّ ما تأتي به الريح..

إن كان راحةً في سكنْ

أو موتًا سريعًا.. و كفنْ

على أبواب السفارات..

تتكوّن آمالٌ غابت من زمنْ

فيا أيها الجلادُ الذي..

سرق الأحلام بالقهرْ

دعنا نرتحل..

حاملين في حقائبنا بقايا العُمْر

و اهنأْ وحدكَ بعزِّ البلاد..

و كفكف بيديك دموع النَّهْر

إذا ما افتقَدَنَا على شاطئيه..

و بكى – أسَفًا– زمانَ العُهْر

و دعنا – إذا ما أمطرت–

فوق جروحنا نرقصْ

رغم البرد..

الصف يزيد و لا ينقُصْ

بعضُ الجروح تهون مع المطر..

و بعضٌ من كبريائنا.. يرخصْ

يقولون دومًا بأنَّ المطر خيرٌ..

لكنه اليوم عذابٌ و ريبة

يا أيها الجلاد الذي باع الخبز..

و الحلمَ.. و أضاع الهيبة

قيّد كرامتنا كيف شئت..

و افرض على أحلامنا ضريبة

فهل يضير المرءَ شيءٌ..

بعد هذي الغيبة

يا أيها الجلاد..

أنت ملعونٌ في كل صلواتنا الرتيبة

ألم تعلم أنّ المسافر إذا دعا...

فإن السماء.. مُجِــيــبـَـة

قهرُ الرجال أبدًا لا يدوم..

فاحذر.. تحت الرماد بركاناً أن يذيبَه

تركنا لك بؤس الملامح..

و صمتَ الجموعِ في صخبِ الشوارعْ

ظلامَ البيوتِ و العقول و الدوافعْ

عهرَ المنصة.. و النياشين..

و صدأ المدافعْ

لكم نفطكم و ذهبكم..

و كلُّ ما تشتهيه المطامعْ

و لنا بعضٌ من كبرياءٍ..

يختفي خلف المدامعْ

لكم ذكرياتنا إذا نسيناها..

لكم هويّاتُنا.. و الوطنُ الهزيل

فما عاد لنا انتماءٌ لهذي الأرض..

و ما عاد يروينا فيها فقر النيل

و لا يُظلُّنا نخيلها..

فهذي الأرض أصلاً.. ما عادت تطرحُ النخيل

سنكون لها سفراء..

إذا شوَّهَهَا الحاقدون..

سنزيدها تقبيحًا كي نردَّ لها الجميل

نحن جنود..

لو طلبت جِمَــانَـا...

ضربنا هامتها كي تميل

فيا سمسار الدمّ ارجع..

فقد أتى وقتُ الرحيل

بلادُنا كم أدارت لنا ظهرها..

و وقتُ الحَــوْجِ تنادي

هذي بلادٌ أمعنت إذلالنا..

و اليوم رحَّبَت ببعادي

هذي بلادٌ غَنَّيْتُ لها قَبْلاً..

لكنَّهَا رفضت أن تكون بلادي



عن الماضي

لا تسألي عن ماضينا

فقد تغـــيَّر كل ما فينا

تغيرنا.. تفرقنا.. تمزقنا.. تجبرنا

و لم تهدأ أحلامنا.. و لم تسلم أمانينا

تغيَّر كلُّ ما فينا

لا تتطلّعي لصور ذكرياتنا..

ليست لنا.. لا تذكّرينا

ربما نفس الملامح

لكنَّ الأرواح فيها.. أشباحٌ تُـواسينا

و لا تقرئي أقاصيصنا القديمة..

فما كتبناها نحن.. و ما سكنت حكاوينا

ما نحن -يا سيدتي- إلا كذبة كُبرى..

حلمٌ ورديٌّ احتلّ ليالينا

نحن ما كـــــنَّـــــا معًا..

نحن ما عشنا معًا..

نحن أوهامٌ، نحياها لتُحـيِينـا

فلا تسأليني اليوم عن ماضينا..

فقد تغيَّر يا سيدتي.. كلُّ ما فينا

أشتاقُ أمِّي ..

ذكرى باقية ..

و جرحٌ لا يندملْ

و أشلاءُ حلم ..

عانقَ السحاب يومًا، فـقُتِلْ

و الدمع .. ضيفٌ ثقيل ...

تخـثـّـر في الـمُـقــَـلْ

و الشِّعرُ .. ذاق الأسى كؤوسًا ...

حتى ثمــلْ

حتى ذاك القمر ..

بات من الحزن باهتًا ...

كاذبًا .. مُفتَعلْ

و الورد .. أشباحٌ تطوف على الطرقات ..

من رأى شبحًا ذَبُلْ

حتى صلواتي ..

ما عادت تذكر من رحلْ

* * *

أتذكَّر أن كنت صغيرًا ..

أمسك بتلابيب أمي ..

يحدوني الأملْ

أتذكَّر حين كانت تقدمني لأقاربنا ..

كانوا يلاعبونني ...

فأختبئ وراءَها في خجلْ

أتذكَّر مرضِي ..

حين كانت تسقيني البهجة..

مع الحِساء، و عصيري المفَضلْ

أتذكَّر حين كانت توقظني من نومي ..

بلمستها الرؤوم ..

و همس لأحلامي ينساب، و يدخلْ

أتذكَّر ..

أتذكَّر ..

أتذكَّر .... (!)

يوم رحَلَتْ ..

لم تقل وداعًا ..

لَم تقل إلَى اللقاء ..

لم تقل .. يا ولدي تحمَلْ

* * *

كم أشتاق أمي ..

كم أشتاق دفءَ أمي ..

كم أشتاق كلمةَ ... أمي ..

و أن أطبعُ على كفها القُبَلْ

رَسَائِلٌ لَهَا

(1)

لو أنّي ذكرتُك عند كلِّ الناس..

و كتبتُ اسمكِ في كلِّ دفتر

و رسمتُ صورتَكِ وشماً ..

و زينتُكِ في جيدي قلادةً من مرمرْ

و إن تفضحني عيوني ..

و أشواقي تهرب منِّي .. رُغمًا عنِّي ..

تتحرَّر

ذلك لأنك أنثى ... لا تتكرّر

* * *

(2)

يَا غَالِيَةً ...

لكِ أُقرّ بأنني

أمام جميع الحسناوات ..

أنحني

لكني أمامك ..

أذهلُ عن الانحناء ..

فلا تجزعي، و لا تحزني

فإني أكون كجذع شجرة أصم ..

لا ينثني

يَا غَالِيَةً ...

* * *

(3)

يا قمرُ ..

وصّلْ لها شوقي ..

بلّغها وعدي بالوفاء

و يا نجومُ ...

هوّني عليها حنينَ المساء

و يا بحرُ ..

خذْ قلبي لشاطئها ..

بلّغْ الأصداء

و قلْ بلا وجل ...

و انشر في كل الأنحاء

أنها حبي أنا ..

بلا عنوان .. و بلا أسماء

* * *

(4)

يا سيدتي .. لا تغرَّنك أبياتي و معانيها

فرُبَّ كلمة عفوية أن تقوليها

تكونُ أجملَ عندي .. من أشعار الدنيا و أغانيها

* * *

(5)

لا تقولي كلامًا

رغم أن صوتك أشتهيه

فقد يقتلُ الكلامُ لحظتنا

و الشوقَ الذى تحويه

و أنا –يا حبيبتي– لا أريدُ لشوقي أن يخبو

فجمودُ الشعور لا أرتضيه

* * *

(6)

و املئي من عينيكِ كأسي بعض رحيق

و اسكري مدمنًا صار يأبى أن يفيق

زيدي كأسي ثلجًا.. و صدري نارًا و حريقْ

فتلكما خمري.. و كل زادي للطريق

* * *

(7)

غصةٌ في الحلق..

رجفةٌ على الشفاة..

و عَبرةٌ في المُقَل عندما أتذكَرْ

زمانٌ مضى..

و الشوق بعدُ لم يمتْ.. بل يكبرْ

قالوا بأنّ البعيدَ عن الأعين منسيٌّ..

و بعيدة أنتِ..

لكني على النسيان لا أقدرْ

* * *

(8)

أنا – يا سيدتي – إن كنتِ لا تدرين ..

من ابتكر للعشق أجمل تعبيرات

أنا من كتبَ في الغرام كلمات ..

لا تشبه كل الكلمات

أنا من لحَّن للهوى ألحانًا ..

و غنت على ألحانه الأغنيات

أنا من تتمناه كلُّ العاشقات

أنا رمزٌ للعشق ..

بين يديّ الفرح و الآهات

أنا لستُ مغرورًا ..

انا لستُ مغرورًا ..

أنا الغرورُ بعينه ..

إذا ما تحدَّث الغرورُ عن الذَّات

* * *

(9)

بضعُ أعوامٍ قد انقضت..

و مازالت ذكراكِ عطرًا على الورقْ

مازالت القصائدُ لا تستهويني، إلا إذا قرأتك بين السطور..

و لا تطربني الأغنياتُ و روائحُ الزنبقْ

ما زلتُ –إذا جَنَّ عليّ الليلُ– أتفقّد صورَك..

أعصرُ معها أوجاعي و دموعي و الأرقْ

ما زلت أراكِ في (ليلى)..

و أغني وحيدًا (لو أننا لم نفترقْ)

ما زلتُ أرى فيكِ تلك (التلميذة) ..

و شموعُ أحلامي بين أناملها تحترقْ

* * *

(10)

لم أعتدْ منك هذى النظرات.

لم أعتدْ سماع تلكَ الكلمات.

لم أعتدْ أن يكون ردّك عليَّ باهتًا...

بلا أيّ همهمات.

لم أعتدْ ألاّ تعانقينني بنظراتك...

أو تقبلينني بكلماتك...

أو تشكين ليَ قسوة الأمسيات.

أم هل غلّف صدرَك منّي...

شكٌ و ريبة.

أراكِ الآن فتاةً غريبة.

لم أعهدْ فيها – من قَبلُ – هذه الصفات.



الفهرس

ما عاد انتمائي لهذي الأرض



لكم نفطكم و ذهبكم..
و كلُّ ما تشتهيه المطامع
و لنا بعضٌ من كبرياءٍ..
يختفي خلف المدامع

لكم ذكرياتنا إذا نسيناها..
لكم هويّاتُنا.. و الوطنُ الهزيل
فما عاد لنا انتماءٌ لهذي الأرض..
و ما عاد يروينا فيها فقر النيل
و لا يُظلُّنا نخيلها..
فهذي الأرض أصلاً.. ما عادت تطرحُ النخيل

أحمد جاد

Designed by: Hazem Mohamad